

تقرير

هكذا أنهت «يديعوت أحرونوت» حزب الله!

يحيى دوق

سوريا ضد إرادتهم!!» يرد في المقالة أيضاً: «على عكس التوقعات، (تصوروا هذه المفاجأة) الشوارع الرئيسية في الضاحية نظيفة، بل زرعت على جوانبها أشجار، وهناك طرق واسعة، بل وأيضاً إشارات مرور. أيضاً هناك أربع إشارات مرور في شارع واحد، وهو شارع مركزي: الطريق السريع في الضاحية، المسمى بهادي نصر الله.»

كذلك يرد أيضاً: «تتناثر الشاشات في شوارع الضاحية، التي تنقل بين الحين والآخر إطلاقات الأمين العام لحزب الله، حسن نصر الله! (وهي كما هو معروف غير موجودة) لكن في المقابل، الشاشات الأكثر شعبية هي شاشات المقاهي التي خصصت لنقل النشرات الإخبارية، لكن في الغالب يشاهدون من خلالها مباريات كرة القدم، وفي هذه الأيام، الحشد الأكبر يكون لمشاهدة مباريات الدوري الإسباني.»

في مقطع آخر، يُسأل أحد السكان عن تعداد المقيمين في الضاحية، فيجيب: «لا توجد بيانات دقيقة عن عدد سكان الضاحية. ويختلف ذلك باختلاف الأخبار. وفقاً للمعلومات، حتى قبل عام، كان يعيش هنا 800 ألف، وهو عدد يتغير صعوداً ونزولاً، ربطاً بالخوف من المواجهة العسكرية مع إسرائيل، وكذلك من تدفق اللاجئين من سوريا!»

كما هو معروف، تعد الضاحية من أكبر الأسواق التجارية في لبنان، بلا جدال. تسارع الشركات اللبنانية منذ سنوات لافتتاح فروع لها في شوارعها، كذلك تكتفت فروع المصارف على اختلافها، نتيجة للحركة التجارية المتنامية فيها.

مع ذلك، من جهة التقرير المنشور في يديعوت أحرونوت، «الوضع الاقتصادي سيئ جداً في الضاحية، بلا زبائن وبلا عملاء، ومنهم من حوّل تجارته التي كانت مزدهرة سابقاً، إلى محل لبيع منتجات «وان دولار»... وكل ذلك، بسبب حزب الله، والحواجز المحيطة بالضاحية...»

أيضاً يرد في التقرير: «ملابس النساء تختلف تبعاً للشريحة الاجتماعية والاقتصادية في الضاحية. في مخيم اللاجئين في برج البراجنة، يُغطى الجسد من الرأس حتى أخصص القدمين، لكن في منطقة الغبيري، ترى الوجوه والشعر الذي يتمايل مع الريح، وكذلك الجينز الضيق والقمصان الضيقة، بل وأيضاً أحذية نسائية مع كعب عال (!) وأخيراً دارت معركة مستعرة في لبنان، وافقت في أعقابها الحكومة اللبنانية على إعفاء المغتصبين من السجن، شرط أن يتعهدوا بالزواج بضحاياهم.»

بحسب سمدار بييري، هذه المعطيات تعني نتيجة واحدة، وهي العنوان الذي عنونت به مقالتها: «نصر الله لم يعد هنا!»

عامّة الإيرانيين، وكانت محل تعليقاتهم عن جهل وتجهيل رأس الهرم في إسرائيل. لذا، لا ريب، أو مشكل، إن كان هذا الجهل مرتبطاً بكتابة في صحيفة عبرية، رغم ادعائها الخبرة في الشأن العربي. لنشرك القارئ العربي بعينات من التقرير، ولنسبب ابتساماً. قبل أشهر، أو أسابيع، يطل الأمين العام لحزب الله، السيد حسن نصر الله، مساء كل اثنين، في مجمع المجتبى في الضاحية الجنوبية، ويلقي كلمة من على شاشة، على الحاضرين. الكلمة، كما هو معروف، دينية سلوكية، ونادراً ما يتعرض لشؤون سياسية أو غيرها. لكن، في تقرير يديعوت أحرونوت، يرد الآتي:

«منذ ثلاث سنوات! يطل نصر الله كل صباح اثنين! الساعة الثامنة والرابع صباحاً، ليعطي دروساً لتلاميذ من صف السادس إلى الصف التاسع!!.. محل ذلك في ساحة الشهداء في الضاحية، حيث يصطف التلاميذ جالسين عبر الشارع على كرسي بلاستيكية بيضاء، ليخطب فيهم نصر الله مدة ساعة كاملة، ويتحدث عن أخبار لبنان خلال الأسبوع الفائت، والقتال في سوريا، والصراع في فلسطين، ويشجعهم على الانضمام إلى صفوف مقاتلي حزب الله!! لكن المهم، في خطابات نصر الله (كما يرد في الصحيفة) أنه يعمد أمام هؤلاء المراهقين، على تبديد مخاوفهم، واعداء إياهم بأن لا أحد سينتزعهم من الشارع، ويفرض عليهم بالقوة الانضمام إلى حزب الله وإرسالهم للقتال في

يرد في التقرير، أن هناك شقاً تزيد مساحتها على 150 متراً مربعاً، ومنها ما يبلغ سعرها أكثر من 400 ألف دولار. معطيات «صادمة» لبييري، ولقارئها. فمعقل حزب الله، الذي يجب أن يكون - بحسب الصورة النمطية المرادة لحزب الله - شبيه بمناطق سيطرة «داعش» ومدن ما قبل الجاهلية: رجال بزي عسكري يحملون السلاح يرسلون ذقونهم حتى الرقبة، يعنفون المارة ويؤنسونهم، فيما النساء متواريات أو يرتدين البرقع بلا وجوه، والمحلات تتبع حصراً الكتب الدينية والملابس السوداء. أما وسائل النقل، فهي البغال والحمير وليس السيارات، التي توقف عندها التقرير طويلاً، متفاجئاً من هذه الظاهرة، الموجودة، للمفارقة، في معقل حزب الله.

لكن ذلك لا يعني، من منظور بييري، أن الصورة النمطية عن حزب الله وبيئته هي خاطئة ومشوهة، بل يعني مزيداً من التجهيل والمكابرة. من جهة الكتابة، هذه الظواهر في الضاحية تعني أن حزب الله قد انتهى. فتاة غير محجبة في الضاحية، وشاب يلبس بنطال جينز، بل إن محلاً تجارياً بماركة نايكي، تصوروا ذلك! هذا يعني فقط أن حزب الله قد انتهى. الجهل والتجهيل، ليسا مقتصرين على الكتابة. قبل سنوات قليلة، صدر عن رئيس الحكومة الإسرائيلية، بنيامين نتنياهو، تصريح يصف فيه واقع الإيرانيين المأزوم في ظل الحكومة الإسلامية «الظلامية»، التي وصل بها الحال إلى حد منع لبس الجينز! في حينه، لاقت ملاحظة نتنياهو السخرية والازدراء من قبل

لا شيء أسوأ وأسف من الجهل، إلا الجهل المركب. الأول ظاهرة مفهومة، ترتبط في معظمها بنقص في المعلومات، أو نقص في القدرة على الربط والتحليل. أما الجهل المركب، فصاحبه يجهل الشيء، ويجهل أنه جاهل به.

الجمع بين الأول والثاني يصنع منتجاً هجيناً من الجهلين: محللو الشؤون العربية في الإعلام الإسرائيلي. هؤلاء، في معظمهم، يدركون جهلهم المركب، لكنهم في الوقت نفسه، يتماهون معه وينمونه ويركبون عليه تحليلات وتعليقات مبنية على الرغبة والتمني. تماماً كما هم كتاب السفارة الأميركية في بيروت. الهدف مشترك، كل ما يتعلق بحزب الله والمقاومة.

مصاديق الجمع بين الجهلين كثيرة في الإعلام العبري. من بينهم، وربما في مقدمتهم، الكاتبة في صحيفة يديعوت أحرونوت، سمدار بييري، التي تُعدّ «الخبيرة الإسرائيلية في الشؤون العربية»... والتي لا يضر معها الجهل والتجهيل والكذب والتحريف، ما دام يحقق النتيجة المرجوة: شيطنة حزب الله.

في العادة المتبعة لدى متابعي الشأن الإسرائيلي، يكتفون بقراءة جملة أو اثنتين من كتابات سمدار بييري، يتسمون، ثم ينتقلون لقراءة ما هو مفيد. لكن من حق القارئ العربي، واللبناني تحديداً، أن يشارك في الابتسام، وأن يحيط بجهالة القوم، وتجهيلهم.

في ملحق يديعوت أحرونوت، أمس، نشرت بييري مقالة مليئة بالتحريف عن الضاحية وحزب الله والسيد حسن نصر الله. جاءت إلى جانب تقرير نقولاً مطران لحساب وكالة رويترز. وهو التقرير الذي أراد إيضاح حقائق مغلوطة عن الضاحية الجنوبية لبيروت، ودحض جملة مغالطات حولها. لكن الكاتبة، «الخبيرة بالشأن اللبناني والعربي»، لم تفهم من تقرير رويترز إلا نتيجة واحدة معدة مسبقاً: نصر الله لم يعد هناك. في إشارة منها إلى الضعف والتراجع وفقدان الشعبية، مع سلسلة تحريفات، سنورد جزءاً منها.

كيف توصلت الكاتبة إلى هذه النتيجة؟ نقولاً مطران جال في الضاحية، وتبين له واقع مغاير لما كان ينتظره، ويقول في تقريره بأسلوب يعبر عن المفاجأة والصدمة: في الضاحية أغلب الفتيات غير محجبات، بل يلبسن بنطال جينز، بل وأيضاً «تي شيرت»، كذلك فإن رجال الأمن يتجولون في زي مدني بلا أسلحة ظاهرة، وتوجد زحمة سير، والمحال التجارية موجودة بكثرة، بل يوجد - للمفارقة - محلات ذات ماركات عالمية، مثل بيتزا هوت ونايكي وأديداس، بل تصوروا، كما

تمسك التيار العوني به، باتت النسبية الكاملة هي الخيار الوحيد في أي قانون جديد والنقاشات تتمحور حول حجم الدوائر. ويجري الحديث عن النسبية الكاملة في 13 دائرة مع الصوت التفضيلي في القضاء. مصادر سياسية أكدت لـ«الأخبار» أنه «لا يوجد سوى النسبية. والنقاش تخطى الصيغ الأخرى، وما يحكى عن التناهي لا يزال حالياً في إطار المفاوضات». وقالت المصادر إن «التيار الوطني الحر هو الرفض الوحيد اليوم للنسبية، لكن في النهاية لا حل أمامه سوى القبول بها، والاتصالات قد تتابع خلال قمة الرياض، ولكن حتى الساعة لا حل في الأفق». وأكدت المصادر أن «تفاوض تيار المستقبل نابع من ضرورة الاتفاق على قانون جديد، ولأن الانتخابات وفق الستين تعني الفراغ قبل ذلك، وهو ما لا يقبل به بري، وما يؤدي إلى تعقيد الأزمة». غير أن مصادر بارزة في حركة أمل أكدت أنه «في حال وافق التيار الوطني الحر على النسبية في 13 دائرة مع الصوت التفضيلي في القضاء، فإن هذا الأمر تطور إيجابي كبير، وحتى الآن لم يطرح معنا أحد بشكل رسمي هذا الطرح». بدورها، قالت مصادر تيار المستقبل إن «كلام نواب المستقبل عن التمديد سببه أن أي عاقل لن يقبل بالفراغ، ولكن موقف التيار لا يزال رافضاً للتمديد ونعتقد أننا تخطيناها»، بينما تستعد مصادر التيار الوطني الحر أن «يشارك المستقبل في جلسة تمديد، لأنه لن يؤثر علاقته معنا».

وكان رئيس الجمهورية العماد ميشال عون قد أكد أمس أنه «مهما جرى، فإن الانتخابات النيابية حاصلة، ولا يزال هناك متسع من الوقت للتوصل إلى اتفاق».

وقال عون إن ثلاثة أمور حالت حتى الآن دون التوصل إلى قانون انتخاب، وهي: «أولاً، تمسك البعض بما اكتسبه، وهو لا يرغب في أن يكون هناك من تغيير في المسلك الحالي كي يبقى زعيم طائفته، فيخاف من خسارة بعض المقاعد، ما يؤدي إلى تغيير الواقع الانتخابي، ذلك أنه أمضى نحواً من 30 إلى 35 سنة في موقعه، فيجد عندها أن سلطته تاكلت وأصبحت عرضة للتغيير. الأمر الثاني، هو الخشية من تغيير موازين القوى، ما يؤدي إلى إحداث تبدل في نهج الحكم، وهناك من لا يرغب في تداول السلطة، بل يفضل عليه الاحتفاظ بمواقفه. يبقى الأمر الثالث وهو رغبة البعض في أن تبقى يده ممدودة إلى حصة جاره. هذه الأسباب أوصلت إلى عدم العدالة، وما من أحد يرغب في الإصلاح».

أضاف عون: «إننا مجتمع مركب من طوائف عدة، بعضها موزع بطرق متكافئة عددياً أو شبه متكافئة، حيث إن إحداهم مثلاً موزعة على نحو 12 قضاءً، وثانية على 11، والثالثة في قضاءين...، بينما يتوزع المسيحيون الذين يشكلون اللحمة بين الجميع على 22 قضاءً. وهم أينما وجدوا مع الآخرين سيكونون الأقلية. وبهذه الصفة، عليهم كي يفوزوا في الانتخابات النيابية أن يكونوا خاضعين لنهج الكتل الكبرى الثابتة. وهذا ما يؤدي إلى عدم إحقاق العدالة، وليس من المستطاع إحداث تغيير في هذا الواقع، حيث نتهم بالطائفية تارة وبالذهبية تارة، علماً بأن الأمر ليس كذلك. وهذه صفة سياسية تعطيها لخصمك للدفاع عن ذاتك».

من جهته، أكد وزير الداخلية نهاد المشنوق أن الانتخابات النيابية ستجرى قبل نهاية العام الجاري.

في سوق معروض في الضاحية عام 2008 (مروان بو حيدر)

